Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (3) April (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

تجليات الحزن في شعر عبد الرزاق عبد الواحد

م. م. جمال علي شهاب حمد المديرية العامة لتربية الانبار

Manifestations of sadness in the poetry of Abdul Razzaq Abdul Wahid

JAMAL ALI SHEHAB HAMAD
zahrmhmwd458@gmail.com

مقـــدمة :

إنّ التعدد الحاصل في الوجوه الشعرية التي يحاول أن يعرضها الشعراء مبتنية على تعدد اختلاف الشعراء إزاء مواقف اجتماعية معينة, فأخذ الشعراء يتجهون نحواً ذاتياً للتعبير عن هذه المواقف فيتجلى فيها الحزن بشكل كبير , فمشاعر الحزن ومشاعر الحسيّة الجمالية في تجربة أي شاعر تعبر عن الواقع المرير حيث مثلت موقفاً خاصاً أظهرت مدى بعد النظرية الشمولية الهموم التي عملها كلّ شاعر , فالحزن ظاهرة فكرية ترتكز على مواقف وجودية خاضها معظم الشعراء إنّ لم يكن كلهم ؛ والسبب هي ظروف الواقع التي حالت دون قدرتهم على قبولها قبولاً منطقياً , وإحساس الفجيعة التي حالت بالشاعر كونه إنسان يحمل في إحساسه العاطفة الجياشة التي تقوده إلى الشعور بالألم وقسوة المواقف فكان الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد مِن هؤلاء الشعراء الذين تجلت أشعاره بطابع الحزن العميق **سيـرة وحيـاة الشاعـر عبـد الـرزاق عبـد الواحـد**ولد الشاعر العراقي عبد الرزاق عبد الواحد عام (١٩٣٠م) في قلعة صالح في محافظة العمارة , جنوب العراق , وهو شاعر معروف مِن أهل بغداد , تخرج مِن دار المعلمين (كلية التربية) عام (١٩٥٢م) , وعمل مدرساً للغة العربية في المدارس الثانوية , وعمل مديراً لتحرير جريدة صروح السورية , وكان زميلاً لرواد الشعر الحر , بدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة عندما كانوا طلاباً في دار المعلمين نهاية الأربعينيات مِن القرن الماضي , كان الشاعر صابئي المذهب أو المندائية[١]وقد صدر له ما يزيد على الستين مجموعة شعرية , منها عشر مجموعات للأطفال , ومسرحيتان شعريتان مِن أشهر أعماله الشعرية وهي : مسرحية الحر الرياحي , وملحمة الصوت , وديوان القصائد , ومجموعة قمر في شواطئ العمارة , وديوان مواسم التعب وزبيبة والملك , ترجمت العديد مِن أعماله إلى لغات عالمية , وكان مِن أهم مَن ترجم له البروفسور جاك برك إلى الفرنسية , والدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي إلى الإنكليزية , حصل على أوسمة وجوائز عديدة, توفي في العاصمة الفرنسية باريس في تشرين الثاني (٢٠١٥م) عن عمر ناهز ٨٥ عاماً[٢] .

المبحـــث الأول : التجليات في شعر عبد الرزاق عبد الواحد :

لا يخفى على المتتبع للنتاج الشعري للشعراء أنّهم يحيطون بالتجليات التي تبرز أعمالهم وتضعها في خانة مِن خانات الوصف , فالتجلي هو ظهور ما أراده الكاتب وإنّ كان هذا الأمر متعلقاً بالشعر الصوفي , إلاّ أنّ الشاعر يمكن أن يوظفه توظيفات تنفع الغرض الذي يهدف له , فكان مِن هؤلاء الشعراء عبد الرزاق عبد الواحد الذي كانت للتجليات في شعره بروزاً واضحاًفمن تلك التجليات التي سار عليها الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد تجليات الثنائيات الضدية , التي استطاع مِن خلالها الشاعر أن يعرض تجليات الألفاظ الضدية التي جاءت في قصائده الشعرية فهو يقول[٣] :

مَن يعاتب مَن ؟
كان أولادنا كرفوف العصافير
كلّ صباح يطيرون نحو مدارسهم
عندما ابتدأت غيمة الدم تُمطر
ها هم الآن
أكتافهم أثقلت بالسلاح

وأرواحهم بالجراح

ولكنّ أعينهم

يلمعُ الغضبُ الحنظلُ المرُّ فيها

ويلمع مجدُ العراقِ على سَبَطان بنادقهم

إنّه وطن

حالة التجلي والظهور للثنائيات المضادة في الموت والحياة , فالشاعر عبد الرزاق عبد الواحد يصور الأطفال وهم يعيشون حياتهم ويصفهم كالعصافير التي تخرج صباحاً مِن عشوشها لتجول في الحدائق , ولكنّه استعار هذا الوصف وطبقه على الأطفال في ذهابهم إلى مدارسهم صباحاً , وفي المقابل تناول حالة الضد , وهو الموت الذي وصفه الشاعر بصعوبة وهو يحمل جراحات الابناء وكيف أخذ يفقدهم بما يمرّ به مِن ويلات القتل وهو يكرس عمله في ذلك الوصف بوطنه العراق لذلك كانت القصيدة مرتكزة على هذه الثنائيات التي تعتبر مِن المقومات التي تركز عليها القصيدة في تمكنه مِن اكتشاف البؤر المحورية التي تقوم عليها القصيدة , حتى إنّ هذا الأمر يدفع الشاعر إلى الاستعانة بها ممّا يساعده على خلق صور فيها المعادل المعنوي الذي أصاب الحياة[٤]فالتضاد سمة خاصة , فهي نسيج مِن الأضداد والتقابلات الخصبة , كما وصفه بأنّه نوع مِن الوجود في مشاقة مع ذاته , وفيه لون مِن التغيير الذي يجري عليه الشاعر في تحقيقه , فالتغيير جوهر الوجود كان التضاد مِن جوهر الوجود[٥] وفي نص آخر يبين فيه المقارنة بين ضدين هما (البكاء والغناء) فالبكاء حالة الحزن والغناء بمعناه الحقيقي حالة الفرح فهو يقول[٦] :

وقلتُ أبكي عليكم هكذا ... علناً

إنّا نغني إذا هيضتْ دوامينا

بين البكاءُ والغِنا نسغُ نهيم به

فخير شعرٍ نُغنيه مراثينا

يا خيرنا , يا أعزَّ الناسِ مكرمة

أنّا بكم تملأ الدُنيا أغانينا

أنّا بكم تملأ الدنيا قصائدنا

وترتدي كِبركم كِبراً قوافينا

وحين نَذكركم نفسَ مواجعنا

فلا يظل سواكم في محانينا

جمع الشاعر مِن خلال نصه ضدين هما (الفرح والحزن) ولكنه لم يجعل الأمرين ظاهرين , بل تناولهما بأسلوب حواري في داخل النص , فهو تضمين للحزن بالفقد والفراق , وتضمين للفرح الذي يتحقق بالذكر الذي جعله الشاعر لأحبته ووصفه بسكون المواجع مِن خلال هذا الذكر ومِن التضاد التي أرادها الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد هو حالة الأنا والضد , أي حالة (الأنا) و(الآخر) , وهذا المصطلح تعود جذوره إلى الفلسفة الأوربية , التي رأت إنّ الإنسان ذات في مقابل العالم الذي هو موضوع لها , فالأنا والآخر جزء مِن تشكيلة اجتماعية وسياسية وفكرية وأدبية واحدة , ولا يمكن الفصل بينهما إلاّ على مستوى الخلاف القائم على أساس نظريات ومصالح تجعل مِن (الأنا) وهو صاحب النظرية والمصلحة نداً للآخر , ونظيراً له , فالأنا والآخر مولودان معاً[٧] .ونجد الشاعر قد ضمن هذا التضاد تضميناً صورياً متداخلاً في قصائده , فهو يقول[٨] :

سنواتٍ

وأنا أجتاز في كلّ صباحٍ

باب بيتي

فالزقاق المنتهي

بالشارع المفضي لجسر الجادرية

سنوات ...

طفلة تفجأني

أحذرها مبتعداً

أسمع صوت الأُمِّ مِن خلفي

أندى ما يكون

ووجوه تغلق الأبواب عنها , وعيون

فجأة ... ذات صباح

وقعت عيني على لافتةٍ سوداء في مدخل الدار

ثم أخرى ...

ثم أخرى في نهايات الجوار

حوارية أشبه بالنظام القصصي أتبعها الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في بيان ضدين , فهو ينطلق مِن (الأنا) ويسترسل به لينصدم بهذه الآخر (الطفلة) و (الأم) وكيف يصف الشاعر مشاعره وهو يبتعد عنهما ليصور حالة مِن حالات التقابل الضدي ولكن ليس بأسلوب حواري خالي مِن جوانب فكرية , بل ضمن الجانب القصصي ليبرز هذه الحالة .فتمثل الخطاب بالأنا ,المتمثلة بالشاعر نفسه وفي نفس الوقت يخاطب الآخر , الذي تمثل بمكونات الحياة البشرية وهي المرأة بصورة الطفلة والأم في آنٍ واحدٍ , وإن كانت الأحداث تسبق أحداهما الأخرى والظلام والنور مِن الاضداد التي استطاع الشاعر أن يوظفها توظيفاً يخدم قصيدته وفكرية , فالشاعر كان للضوء حضوراً خاصاً في شعره , والذي يشكل أهمية شعرية وليس مجرد كونه حضوراً طبيعياً , فهو يعكس ألواناً مختلفة داخل اللوحة الشعرية , كما أنّ له أثراً بنائياً خاصاً استطاع الشاعر أن يحمله بتجاربه الإنسانية الكبيرة والمعقدة , فبات الضوء رمزاً شعرياً انطوت تحته كلّ صور الحياة ومباهجها فالظلام والضياء يعتبر مِن الأسس الرئيسية للطبيعة النفسية ؛ لأنّ للنفسِ عالمها المزيج بين الظلام والضياء ومِن هذا التأليف بين النقيضين أو الضدين يترعرع الحسن الشعري , والعالم المليء بصراع الأضداد , فأنا لا أرى ظلاماً ولا ضياءً , بل أتصور تحت تأثير الحالات هذا الضوء وهذا الظلام[٩] فالشاعر عبد الرزاق عبد الواحد لم يبتعد عن هذا التصوير فوجد حالة الضد بين الضوء والضياء يرسم مِن خلالها حالات الحياة وضدها , والسعادة والشقاء , فهو يرمز لأمرين مختلفين برموز يعرفها القارئ ويفهمها وفق قانون الفهم الطبيعي لها فيقول[١٠] :

بما يوفي العراقيون إن كفلوا

وما يوفي العراقيون أن كفلوا

أعمارهم كلّ هذا مِن شوخصها

وكلّ عين بهم لله تكتحل !

فلا تقولوا ذهبوا كل العراق غداً

تُضيء في مقلتيه هذه المُقلُ

باقون هم بيننا أصداءُ ضحكهمو

ضجيجهم لعبهم درسُ به شعلوا

حتى دفاترهم تبقى ... حقائبهم

يلوحها جافلاتٍ مثلها جفلوا

تبقى فذاكرة الأجيال تنقلها

جيلاً فجيلاً ويبقى صوتها يصلُ

نلاحظ إن الاضداد الحاصلة في قصيدة عبد الرزاق لم تعتمد اللفظ المباشر في بيان ذلك , فوصف الشاعر حالات الرحيل وبين إنّ هذه الحالات إشارة للظلام , وإنّ الحياة أسودت بغيابهم حتى إنّ الشاعر جعل الضياء باقٍ في عقولهم ومسترسل في عقولهم حتى ذكر إنّ ذكريات بقاء الدفاتر وبقاء الآثار بادٍ وواضح سواء في الواقع أو في العقل ومِن المواد التي جعلت مِن الأضداد ووظفها الشاعر توظيفاً حقق فيه الكثير مِن أفكاره , وهو يبين حالات الاثبات ومغايراتها مِن النفي سواء بأسلوب الظاهري أو الضمني فهو يقول[١١] :

ولا تقل أجلُ وافي فمذ حدثت

للآن يجيش في ساحاتها الأجلُ

مستنكراً أن يقال الموتُ داهمهم

فلا تقولوا توفوا ... إنّهم قتلوا
قد يخجل المرءُ لو قلبٌ بأضلعهِ
مِن أين يأتي عديم الرحمةِ الخجلُ
يا أيّها المانحون الأرض تزكيةً
أنّ ما يزالُ بهم منهم دمٌ خضلُ
وأنّهم وهبوها كل خضرتها
وعلموا القيهم فيها كيف ينهمل

الاثبات والنفي في القصيدة استعمله الشاعر في بداية أبياته بأسلوب الضد فهو ينفي في قوله (ولا تقل) ثم يثبت عكس قولهم بقوله (يجيش) إلاّ أنّه بعد ذلك وعندما عرض حالات النفي كرس عمله للإثبات وبيان الخصائص الموضوعية له مِن خلال تحليل موافقته لذلك بالتمجيد وأسلوب النداء في قصيدته في قوله (يا أيّها المانحون) وبعد أكد ذلك القول والملاحظ إن التعميق في بيان الصورة في أعلا تجلياتها أخذ ابعاداً أكبر عند الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد مِن خلال تعمق الدلالة الواردة في تلك التجليات مِن خلال حالات الاضداد الحاصلة في صور مختلفة سواء الحزن الذي يقابله الفرح , والنفي الذي يقابله الاثبات وغيرها مِن الحلات , حتى عدّت هذه الدلالات فيها حسّ وانفاس للشاعر عاش بها تجربته الكبيرة وهذا واضح للعيان في المصطلحات التي تحلت عنها الحالات المختلفة التي عرضها الشاعر في قصائده[١٢] .

المبحث الثاني : تجليات الحزن في شعر عبد الرزاق عبد الواحد :

تناولنا في المبحث السابق التجليات بصورة كلية عند الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد , وبينا إنّ الشاعر بيّن تلك التجليات بصورة واضحة , وكان هذا المبحث مستقلاً في التجليات في مظاهر الحزن التي طغت على قصائد الشاعر مِن خلال الأحداث التي مرت فيها حياته , فضمنت قصائده الشكوى والحزن والأنين والموت وكل هذه المواقف ولدت الحزن عند الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد لذلك نجد الحزن أصبح ظاهرة في قصيدة الشاعر واكتسبت طابع الرؤية والشمولية وأضحى له العديد مِن الموضوعات التي تشكل كل منها مظهراً مِن مظاهره هذه المشاعر الحزينة التي ظهرت في قصائده مِن خلال الأفكار التي بثها في داخلها مِن أفكاروقد تجسدت مظاهر الحزن في مواجهة الذات عند الشاعر أكثر مِن قصيدة , ومنها قوله[١٣] :

يا سيّد الأرضِ.. يا ضعفي و يا هوسي
يا كبريائي التي ما شابها صَلفٌ
يا ضحكةُ بابُ قلبي لا تبارحهُ
ودمعةَ حَدّ هُدبي ليس تنذرفُ
بيني وبينك صوتُ اللهِ أسمعه
يصيح بي موحشاً والليلُ ينتصف
يا أيّها المالئُ الأوراق مِن دمِه
وفرّ دماك فليس الحبُّ ما تصف
الحبُّ حبُّ الذين استنفروا دمَهم
ما بتلت الأرض ما ابتلت به الصُحفُ
حبُّ الذين بلا صوت ولا عظة
ألقوا ودائعهم للأرضِ وانصرفوا
الحبُّ حبُّ الذين الموتُ حالَ بهم
وعندما قيلَ صُولوا باسمه نكفوا

تلمح في أشعاره نغمات الحزن والبحث عن المأوى وهو يسترد أنفاسه بعشقه لوطنه , فهو يجسد ذلك الحزن بكبرياء واباء غير خاضع وبين الشاعر خلال حزنه ذلك الصوت المدّوي في داخل نفسه مقابل ما يقدمه مِن دماء لهذا الوطن الذي لابد أن يُضحى مِن أجله , فالأبيات تلونت بغنائية حزينة , امتلأت بالأسى والكآبة والخوف والموت والبحث عن الأمنيات التي بقيت تجول في فكر الشاعر فحالات الحزن عند كلّ الشعراء تعزى

للحالة المعنوية التي تتحكم في رؤية الشاعر , حيث لا يرى مِن الأشياء إلاّ جانباً واحداً , فالشاعر القديم كان يقف برؤيته عند حدود الوجه الواحد , فإذا رأى الوجه المطرب طرب وإن رأى الوجه المحزن حزن[١٤]لذلك نجد هذه الظاهرة واستفاضت حتى صارت ظاهرة محورية أساسية فالشاعر ينظر في شعره إلى نزعة يلحون عليها وهي ظاهرة القتامة ويغمضون عيونهم مِن جانب البهجة والسرور , فالشاعر هنا يقول[١٥] :

وأمسِ أمس رأيتُ الوَيل .. ما تركوا
مَساسة لم تفتش بعدُ في بدني
ولستُ أحمل في قلبي وأوردتي
إلاّ هواك .. ففتشهنَّ يا وطني
يا دارة الشمس .. يا أهلي ويا سكني
يا ناصري أهلِكم في فورة الأحَنِ
يا مَن عروبتهم مرسى سفينتهم
في حين طوْحت الأمواجُ بالسفنِ
إنّ الدماءُ التي قد مازجتْ دماً
منكم ستعصمُ أولادي مِن الوهَنِ
وذاك أنّ لهم أهلاً أولى رَحمٍ
ما ضيعوا دمَ أهليهم بلا ثمنِ
يا أهلنا .. والعراقيون أخوتكم
بنو أبيكم على الأفراح والشجن

فالشاعر لم يغادره الحزن لحظة واحدة , فهو حزين ويرى كلّ حياته حزناً وهو يستذكر بلاده بكل لوعة وحسرة , فالشاعر هنا يمتزج الحزن بالفرح , فالإنسان في قمة شعوره بالبهجة فإنّه مدرك للحزن وهذا ما كان واضحاً في قصيدة الشاعر وهذه النظرة تناقض الحقيقة الشعورية القائمة على تمازج الأشكال المختلفة بل المتناقضة , وهي الحقيقة الشعورية التي استقرت في أعماق الكيان الإنساني مِن البداية , فالإنسان في قمة شعوره بالبهجة ممكن أن يدرك الحزن الملازم في نفسه[١٦]فقضية الحزن ترتبط بمجموعة مِن الحقائق التي تكشف عن طبيعة هذه الظاهرة وأسبابها ومظاهرها , وتكشف عن فهم جديد لمعنى الحياة , وهو فهم لا يقف بالرؤية لمعنى الحياة عند الشعراء عند جانب واحد مِن جوانب الحياة سواء أكان جانب الفرح أو جانب الحزن , إنّما يمتزج الحزن والفرح معاً ليكشفا عن وجوه الحياة المختلفة والمتناقضة[١٧]ولا يخفى إنّ مفهوم الحزن وتجلياته لا تخرج مِن تحكم الحالة المعنوية أو النظرة المحدودة التي ترى جانباً واحداً مِن الحياة أو تحكم النظرة الشمولية التي تعرف أنّ الحزن والفرح ممتزجان في الحياة فالشاعر يدرك هذا المفهوم فهو يقول[١٨] :

كلُّ موتٍ نموته يشهدُ الله
لكم فيه مشهدٌ ومقامُ
كلُّ نصرٍ اكم عليه شهيدُ
وعلى صورة الشهيد وسام
فإذا لم نكن كذا , فلماذا
تَملأ الجزّ هذه الأعلام ؟
ولِمن ندعي انتماء إذا لم
يتم الآن كلُّ هذا الهلامُ
هذه التائهات .. إنْ هي حتى
الآن غرقى ..إذن عليها سلامٌ
يا هَلِي ..لن أقول ما سوف يبقى
ناقضاً ثم يصعب الاتمام

أنا لا أدعي البطولة لكن

ربّ صرح تهزه الأقلامُ

نحن ندعوكمو إلينا ولسنا

نتباهى بأننا لا نُسامُ

نلاحظ الانعكاس الحاصل عند الشاعر وهو يصور حالات الموت التي تمر على مَن يصفهم بأنه باقية فيه فهو يكرس لفظة (مشهد ومقام) لدلالة على التفاعل الحاصل بين عاطفة الشاعر وبين ما حدث وخطاب الأهل واضح عند الشاعر في دعوته لهم والدعوة للألتآم فيما بينهم وترك البعد , وهذا يعني إنّ ظاهرة الحزن عنده هي انعكاس لأحزان الشاعر وهي ليست تقليداً وعرضاً لصورة غيره بل هو نابع مِن ذاته وهذا يعني أنّ ظاهرة الحزن ليست نوعاً مِن التقليد لأحزان الآخرين وليست جزءاً مِن التأثر بأحزانهم[١٩]ومِن الواضح إنّ الشاعر المعاصر قد تأثر بالأدوات التعبيرية في الشعر الغربي مِن بساطة الأداء , واختيار الألفاظ الشائعة بين العامية, والفصحى لنقل المشاهد المأساوية , كما هي في الواقع الحياتي , وبالتالي يكون الحزن تفسيراً صادقاً لواقع الحياة .لذلك نجد الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد يتحلل مِن اللغة المتبعة في بيان دلالة الألفاظ ويتجه إلى بيان لوعته وحزنه مِن خلال ملائمة التعبير الذي يريده ليبين معناه الذي قصده فيقول[٢٠] :

وكيف نبيعُ العراق ؟

وماذا سيبقى لنا

و لأولادنا

بعد شمس العراق ؟

وليلِ العراق

بأنجمه

وأهلته العاليات ؟

بعد موجك دجلة

ماذا تكون الحياة ؟

يا فراتُ

يا عوالي النخيل

ألف جيلٍ وجيلٍ

تتساقط حول جذوعك

والطلع يبقى مهيباً

واعذاقه لا تميل

الحسرة بادية على الصور التي عرضها الشاعر , فهو يأبى أن ينقاد لدعوات القضاء على بلده ومصادره جهود أبناءه , فهو يجمع بين الفخر والاباء والحزن , وكأنّ الشاعر يريد أن يرمز إلى جهة أخرى تسعى لذلك , فهو يعرض صوراً متضاداة لجهتين , يمثل الشاعر أحدهما وهي جهة الصمود والإباء وجهة تعمل ضد ذلك , فهو تعبير عن الحزن بصورة عفوية تعبر عن ذات الشاعر , فهو مِن خلالها اعتمد الألفاظ لكن الصورة جاءت أوضح مِن ألفاظها الصورة التي بانت على أصحابها وهي وسيلة اتبعها الشاعر لا تحتاج إلى اصطناع لغة معينة ومِن دواعي الحزن وأسبابه ظاهرة الحزن الذي اعترت البلاد مِن قهر وجوع , فالشاعر يربط وطنه بحال أمته ويأخذ بالمقارنة فهو يرب بين الجوع والثورة والقسوة والألم فيقول[٢١] :

وكان ما كان يا أيوب ..ما فعلت

مسعورة في ديار الناس ما فعلوا

ما خربت يد أقسى المجرمين يداً

ما خربت واستباحت هذه الدول

هذي التي المثل العليا على فمها

وعند كل امتحان تُبصق المثل

يا صبر أيوب, ماذا أنت فاعله
إن كان خصمك لا خوف ولا وجلُ
ولا حياءُ ولا ماءُ ولا سِمَة
في وجهه وهو يقضي ولا يكل ؟
أبعدَ هذا الذي قد خلفوه لنا
هذا الفناء.. وهذا الشاخص الجللُ
هذا الخراب.. وهذا الضيق.. لقمتنا
صارت زُعافاً, وحتى ماؤنا وشلُ
هل بعده غير أن نبري أظافرنا
بريَّ السكاكين إن ضاقت بنا الحيلُ

مِن الصور الرائعة التي مثلت جانب مِن جوانب التحدي التي وصفها الشاعر وضمن حالات الحزن سبب الجوع والقتل ولم يقف عند حدّ في وصفه هذا عند أبناء وطنه بل عرض ما خارج وطنه والمكائد التي أصابته مِن دول الجوار وما فعلوه في وطنه وأبناءه , فهو يعرض المأساة بألفاظ قاسية مؤلمة كما في (الخراب) و (الضيق) حتى وصف ما يحصل عليه أبناء وطنه مِن لقمة كأنّها زعاف , إلاّ أنّ الشاعر أخذ بالتحدي إن ضاقت الحيل فبسلاحهم الأظافر التي تبرى كالسكاكين ليدافعوا عن أنفسهم فهو يرسم ملامح وطنه بالألم والعميق الذي أصابه ممّا جرى فيه ليتحول إلى صورة مِن صور الكآبة واليأس الذي تبدأ مِن الطفل لتصل إلى العجوز فالكل مُصاب بما رسموه لها مِن الإبادة الحقيقية له فحالة الانكسار التي تبدو على الشعراء لأسباب تمر عليهم كمغادرتهم بلدهم فيصيبهم الحزن ويصيبهم الانكسار مِن خلال ما يجري لهم[٢٢] فالتمزق الذي تعيشه الأمة كان مِن بواعث الحزن الشديد عند الشاعر وهو يرى خضوعها لأعدائها , فهذا الانحدار كان مِن الأسباب التي يرسمها الشاعر في قصائده فهو يقول[٢٣] :

والعالم اليوم, هذا فوق خيبته
غافٍ, وهذا إلى أطماعه عَجِلُ
لكنّهم, ما تمادوا في دنائتهم
ومالهم جوقة الأقزامِ تمتثل
لن يجرحوا منك يا بغداد أنملةٌ
ما دام ثديك رضاعوه ما نذلوا
بغداد أهلوك رغم الجُرح صبرهمو
صبرُ الكريم وإن جاعوا وإن ثكلوا
قد يأكلون لفرط الجوع أنفسهم
لكنّهم مِن قدور الغَير ما أكلوا
شكراً لكلّ الذين استبدلوا دمنا
بلقمة الخبزِ شكراً للذين بذلوا
شكراً لإحسانهم.. شكراً لنخوتهم
شكراً لما تَعبوا.. شكراً لما انشغلوا
شكراً لهم أنّهم بالزادِ ما بخلوا
لو كان للزاد أكالون يا حملُ !

القصيدة مفعمة بالألم والحسرة وهو يصف العالم كيف يدور وكيف يبحث عن مصالحه , ولم يهمل الشاعر الذين وقفوا مع بلاده , ورد ما مرّت به مِن قسوة الظروف , فالشاعر يصف حال العرب بطريقة غير مباشرة , فهو يصف الأطماع التي وقعت بها هذه الدول الذي انساها جارتها فانتموا إلى جوقة الأقزام , فالشاعر لا يرى هذه الزمرة بعين كبيرة , بل يحتقرهم ويقلل مِن شأنّهم ورغم ذلك ختم كلامه بالإرادة والقوة والصبرفهو شعور مِن

الشاعر بالغربة والوحدة فولدت ذلك الحزن والذي يجعل الشاعر يشعر بالضياع وخاصة وهو يرى ابتعاد الناس عنه وعدم الاهتمام به[٢٤] لذلك نجد أنّ القصيدة التي أفصح مِن خلالها عبد الرزاق عبد الواحد كانت متداخلة كالنص المتكامل وهذا يعني كما قال النقاد إنّ القصيدة التقليدية كما ورثناها بأغراضها المعروفة وأبياتها الملتصقة صفيًا كقطع الفسيفساء , هي إلى الزخرف والنقش أقرب منها إلى العمل الأدبي المتماسك , الملتحم كقطعة النسيج , كما إن أسلوب بنائها يشبه بناء القلاع , فالقصيدة التقليدية مجموعة أحجار ملونة على بساط تستطيع أن تزحزح منها إلى أية جهة تريد , ومِن ذلك تبقى الأحجار أحجاراً والقصيدة قصيدة[٢٥]فالقصيدة عند الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد قدمت غرضها بصورة واضحة مع شدة العاطفة التي أبرزها الشاعر لتظهر الحزن بقوة , وقد حققت القصيدة عنده بأجزائها ترابطاً واضحاً , فلم تكن الأجزاء متنافرة غير متسقة فكانت كالبناء المتماسك لا يعتسف الشاعر تقديم جزء مِن أجزائها , ولم تقطع الصلة عن بعض أجزائها والبعض الآخر , وكلّ ذلك بسبب الانفعال والإحساس الذي ساد على أبياتها وهذا ما يسمى بالوحدة العضوية التي ولدت التماسك في داخل القصيدة التي وصفها النقاد بأنّها وحدة الموضوع , ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع , وما يستلزم مِن ذلك ترتيب الصور في الأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً , حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور , على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحيّة, لكل جزء وظيفته فيها , ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر[٢٦] .ومِن خلال ذلك يمكن أن نقول إنّ التجليات التي أبرزها الشاعر مِن خلال صفات الحزن والأسباب التي دعت إليها هذه الصفات , فقد كانت واضحة مبينة صورة مِن صور الابداع الشعري عند الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد , فهو وظف الألفاظ ليحقق مِن خلالها صور حيّة فعالة تبرز الأفكار التي قصدها الشاعر مِن خلال التجارب التي مرّت به , وبذلك كانت هذه الصفات بتجلياتها واقعاً ملموساً في حياة الشاعر وأبناء وطنه ومدى تأثيرها على القارئ لأنّها رسمت معالم تاريخ لشعب بأكمله بكل ما مرّ به مِن ويلات وأحزان .

الخاتمة

إنّ ظاهرة الحزن المتجلية في شعر الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، افرزت الكثير من الموارد ومنها :

-سعى الباحث أن يكشف تجليات الحزن عند الشاعر عبد الرزاق ، من خلال دلالة الألفاظ التي وظفها توظيفًا خدم المعنى الذي قدمه الشاعر .

-نجح الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في بيان التراكيب الصورية لتعزيز المعنى العام في قصائده ، وتجلت تجربة الشاعر في هذه التركيب .

-بث الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في أشعاره حزنه بشكل كبير ، بل تجلت احزانه من خلال التجارب الحزينة والحياة القلقة التي عاشها الشاعر ، لذلك جاءت هذه القصائد واضحة الدلالة والمعنى .

-نلاحظ انتقاء الألفاظ من قبل الشاعر بما يناسب الفكرة التي يبثها ، فجاءت الألفاظ لها وقع حزين وموسيقي ، جعل القارئ يستمتع بها استمتاعًا كأنّه يعيش فيها .

المصادر

-شعر عبد الرزاق عبد الواحد , دراسة اجتماعية , جامعة أراك , إيران , ٢٠١٢م .

-الأعمال الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط١ , ٢٠٠٠م .

-الثنائيات دراسة شعرية عند محمود درويش , أحمد زهير رحاحل , فضاءات للتوزيع , الأردن , ط١ / ٢١٦م .

-زمان الوجود , عبد الرزاق عبد الواحد , دار الثقافة , بيروت , ط١ , ١٩٧٣م .

-صورة الذات والآخر في كتاب الروائي , فتحي أبو العينيني , مجلة القاهرة , العدد / ١٣١ / ١٩٩٣م .

-ثنائية الظلام في نجمة تقود البحر , أحمد الطرس العرامي , صحيفة الجمهورية , فبراير , ٢٠١١م .

-الغموض في الشعر العربي الحديث , إبراهيم رماني , دار الكتاب , بيروت , ط١ , ٢٠٠٩م.

-الشعر العربي المعاصر , قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية , عز الدين إسماعيل , دار الفكر العربي , ط٣ , ١٩٨٩م .

-الشعر العربي المعاصر , قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية .

-حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي , إبراهيم حاوي , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط١ , ١٩٨٤م .

-حركة النقد , إبراهيم حاوي , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ١٩٩٩م .

-قضايا حول الشعر , عبده بدوي , ذات السلاسل للطباعة , الكويت , ١٩٨٦م .

-بناء القصيدة في النقد القديم , يوسف حسين بكار , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ٢٠٠٩م .

-النقد الأدبي الحديث , محمد غنيمي هلال , الإدارة العامة للنشر , بيروت , ط١ , ٢٠٠٧م .

هوامش البحث

(١) شعر عبد الرزاق عبد الواحد , دراسة اجتماعية , جامعة أراك , إيران , ٢٠١٢م : ١٣ .

(٢) شعر عبد الرزاق عبد الواحد , دراسة اجتماعية , جامعة أراك , إيران , ٢٠١٢م : ١٣ .

(٣) الأعمال الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط١ , ٢٠٠٠م : ٢٣ .

(٤) الثنائيات دراسة شعرية عند محمود درويش , أحمد زهير رحاحل , فضاءات للتوزيع , الأردن , ط١ / ٢١٦م : ١٠ .

(٥) زمان الوجود , عبد الرزاق عبد الواحد , دار الثقافة , بيروت , ط١ , ١٩٧٣م : ٢٤ .

(٦) الأعمال الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٣٥ – ٣٦ .

(٧) صورة الذات والآخر في كتاب الروائي , فتحي أبو العينيني , مجلة القاهرة , العدد / ١٣١ / ١٩٩٣م : ٩٢ .

(٨) المجموعة الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٥٧ – ٥٨ .

(٩) ثنائية الظلام في نجمة تقود البحر , أحمد الطرس العرامي , صحيفة الجمهورية , فبراير , ٢٠١١م : ٧٩ .

(١٠) الأعمال الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٦٢ .

(١١) الأعمال الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٦٣ .

(١٢) الغموض في الشعر العربي الحديث , إبراهيم رماني , دار الكتاب , بيروت , ط١ , ٢٠٠٩م : ١٨٦ .

(١٣) المجموعة الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٧٠ – ٧١ .

(١٤) الشعر العربي المعاصر , قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية , عز الدين إسماعيل , دار الفكر العربي , ط٣ , ١٩٨٩م : ٣٥٣ .

(١٥) المجموعة الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٧٦ – ٧٧ .

(١٦) الشعر العربي المعاصر , قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية : ٣٥٢ .

(١٧) حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي , إبراهيم حاوي , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط١ , ١٩٨٤م : ١٩٤ .

(١٨) المجموعة الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٤٢٤ .

(١٩) حركة النقد , إبراهيم حاوي , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ١٩٩٩م : ١٩٧ .

(٢٠) المجموعة الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ٤٤ – ٤٥ .

(٢١) المجموعة الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ١٨٩ – ١٩٠ .

(٢٢) قضايا حول الشعر , عبده بدوي , ذات السلاسل للطباعة , الكويت , ١٩٨٦م : ٦٣ .

(٢٣) المجموعة الشعرية , عبد الرزاق عبد الواحد : ١٩٠ – ١٩٢ .

(٢٤) ينظر : الشعر العربي المعاصر , عز الدين اسماعيل : ٣٣٥ .

(٢٥) بناء القصيدة في النقد القديم , يوسف حسين بكار , دار الكتاب العربي , بيروت , ط١ , ٢٠٠٩م : ٣١٨ .

(٢٦) النقد الأدبي الحديث , محمد غنيمي هلال , الإدارة العامة للنشر , بيروت , ط١ , ٢٠٠٧م : ٣٧٣ .